



د. محمود الفطافطة*

كتاب «معنى إسرائيل» ليعقوب م. رابكن: اليهودية في معارضة الصهيونية/ محمود فطافطة

اليهود، الصهاينة، اليهودية، الصهيونية، التقاليد الألفية اليهودية، قومية القرن العشرين اليهودية، مصالح الدولة الإسرائيلية، والمواطنين اليهود في بلدان أخرى، معتبراً أنه من الضروري لفهم إسرائيل التمييز بين الدين، والإثنية، والقومية؛ لأن الأيديولوجيا الصهيونية، على وجه الخصوص، جعلت من هذه الأشياء خليطاً واحداً.

بين النقد والنقض!

إن ما يقوم به رابكن من نقد ضد الصهيونية وإسرائيل من وجهة نظر دينية يهودية يمثل أهمية هذا الكتاب، سيما أن هذا الموضوع يحتاج إلى توضيح؛ لأن هذا النوع من النقد يكاد يكون غير معروف لغير المختصين من قراء العربية وحسب، ولكن لأن تعبيرات من نوع اليهود واليهودية غالباً

اسم الكتاب: معنى إسرائيل

المؤلف: يعقوب م. رابكن

الترجم: حسن خضر

الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار

مكان النشر والسنة: رام الله - ٢٠٢١

عدد الصفحات: ٢٩٢

يُعتبر كتاب «معنى إسرائيل» للمؤلف يعقوب م. رابكن وثيقة بحثية ومرافعة نقدية تُساهم في «محاكمة» الصهيونية وإسرائيل بأدوات ومرجعيات دينية يهودية تُضيء بكثافة على حيثيات المعارضة اليهودية التاريخية للصهيونية، عبر اقتباس مصادر حاخامية غير شائعة في هذا السياق.

هذه المعارضة يمنحها المؤلف أهمية خاصة وهو يقوم بتفكيك الخلط الشائع بين مفاهيم (مصالح

* أكاديمي، ومؤسس «باحثون بلا حدود» - فلسطين.

ما تكون ضحية صور نمطية خاطئة، أيضاً. فلا اليهود يمثلون جماعة واحدة وموحدة بالمعنى الإثني والأيدولوجي والديني، ولا اليهودية ديانة تخلو من الانقسامات والخلافات اللاهوتية، والفرق المتنافسة. والواقع أن أيديولوجيا العداة للسامية هي التي تتعامى عن خصوصيات كهذه.

يفحص الكتاب أصول دولة إسرائيل وطبيعتها الكولونيالية، ومكانها في التاريخ اليهودي والأوروبي، مذكراً بأن مؤسسي الصهيونية نظروا إلى حركتهم كقطيعة تامة مع التاريخ اليهودي، ويغوص الكتاب في تفصيل التحولات التي وضعت إسرائيل في مركز اهتمامات معظم يهود العالم، والتي تتراوح بين التأييد غير المشروط للسياسات الإسرائيلية، والإدانة، بل وحتى الرفض الصريح، للمفهوم الصهيوني - أي القومي - لليهودي، معتبراً أن الفكرة، المقبولة على نطاق واسع، بأن كل اليهود صهاينة، وبالتالي فهم مدافعون أشداء عن دولة إسرائيل، ليست سوى أسطورة تخدم العداة للسامية.

يتبنى الكاتب رابكن موقف اليهودية الحاخامية، أو الربانية، وهي الصيغة الدينية الوحيدة التي عرفتها الجماعات اليهودية، على مدار قرون، في كل مكان من العالم، حتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد تفككت هذه الصيغة وتحللت في ثلاث فرق هي الأرثوذكسية، والإصلاحية، والمحافظية، تحت الضغط الهائل لعمليات تاريخية كبرى تمثلت في التنوير الأوروبي، وحركة الانعتاق بعد الثورة الفرنسية، أي منح الجماعات اليهودية حقوقاً متساوية في بلدان أوروبية مختلفة، وبطريقة متفاوتة، وفي حركة تنوير يهودية موازية.

فرق تصارعية!

يبين الكاتب أنه في الوقت الحاضر، يتوزع اليهود في العالم، ممن يعرفون أنفسهم كمتدينين، بين الجماعات المذكورة، التي تنبثق عنها جماعات فرعية، ومؤسسات في مجالات مختلفة. ويوضح: إن ما يدعى اليهودية الأرثوذكسية، بلغة اليوم، هي وريثة الحاخامية، وهي السائدة في إسرائيل، وأن الإصلاحية هي الديانة السائدة بين أغلب اليهود الأمريكيين. بينما تتموضع المحافظة، التي انشقت عن الإصلاحية، في موقف وسط، بالمعنى الديني والأيدولوجي، بين الأولى والثانية.

كما تنقسم الأولى؛ أي الأرثوذكسية، بدورها، إلى فرق

وطوائف مختلفة منها الحريدية، الجناح المتشدد في الأرثوذكسية، التي يتبنى المؤلف موقفها، وتُعبّر عنها جماعات مختلفة منها ناتوري كارتا المعروفة بعدائها الشديد للصهيونية، ورفض الاعتراف بدولة إسرائيل.

يذكر مؤلف الكتاب أن نقاط الخلاف الرئيسية، بين مختلف الفرق والمذاهب، هي التأويل الديني لأفكار من نوع المنفى والخلص، وعلاقة اليهود بفلسطين. لذلك، يشير إلى أن اليهودية الحاخامية، أو الربانية، تعاملت مع فكرة الشتات كنوع من العقاب الإلهي، وانتظرت نهايته على يد المخلص كجزء من خطة إلهية، أيضاً. وبشأن علاقة ذلك بفلسطين نجد رابكن يؤكد أنه كانت للعلاقة الخاصة بفلسطين دلالة روحية أكثر مما هي مادية، أو سياسية، أو «قومية» بالتعبيرات الحديثة. وهذا موقف ناتوري كارتا، وبعض الجماعات الصغيرة الأخرى، التي ترى في قيام الدولة الإسرائيلية تدخلاً بشرياً في موضوع الخلاص، وانتهاكاً لوعده اليهود مع الرب، وتعدياً على إرادته (حسب الكاتب).

إسرائيل والصهيونية: العلاقة والضحية

يسهب الكاتب في الحديث عن الحركة الصهيونية وعلاقتها بإسرائيل، حيث يقول: إن الحركة الصهيونية، من بدايتها، سعت لاستعمار منطقة في آسيا الغربية مأهولة بجماعات إثنية ودينية متنوعة، على يد أوروبيين. وقد استقر المهاجرون اليهود الأوائل في نهاية القرن التاسع عشر في البلاد بطريقة عشوائية ومتباينة، واستخدموا عمالاً من العرب في مزارعهم. وخلافاً لهؤلاء، مارس المهاجرون إلى فلسطين في أوائل القرن العشرين شكلاً مركزاً من الاستعمار: أنشأوا مستوطنات يهودية حصرية كان من شأنها تهجير السكان المحليين.

وينوه الكاتب، إلى أن نوايا الرواد الصهاينة تجلت في شعارين هما: الاحتلال من خلال العمل، والانفصال. بكلمات أخرى، «تبنّت الحركة الصهيونية سياسة التطور المنفصل التي ما زالت قيد التداول حتى يومنا هذا، والتي تفسر، إلى حد بعيد، ديمومة الصراع مع الفلسطينيين، وعزلة دولة إسرائيل في المنطقة».

ويضيف رابكن: جعلت الأيدولوجيا الصهيونية الرسمية من إسرائيل دولة بلا حدود، إذ يمكنها التوسع، من ناحية جغرافية، بالغزو العسكري أو الاستعمار. وقد بذلت الحركة الصهيونية، والحكومات

الإسرائيلية المتعاقبة جهوداً مضنية للحيلولة دون تعريف الحدود التي يتصورونها لدولتهم. وتتجسد صورة دولة بلا حدود، أيضاً، في زعم إسرائيل بأنها ليهود العالم لا لمواطنيها. وهذا يؤدي إلى تحويل متزايد للمنظمات الصهيونية حول العالم، بصورة علنية إلى توابع لإسرائيل (كما يقول المؤلف).

يتطرق الباحث إلى مكانة إسرائيل في الساحة الدولية، إذ يقول: يبدو مكان إسرائيل، للوهلة الأولى، في إقليمها على خلاف مع مكانها في العالم الغربي. فإسرائيل، المكروهة إلى حد بعيد من جيرانها، تحظى بالتأييد في أوروبا وأمريكا الشمالية. لكن، ومع استثناءات قليلة، ينتقد الرأي العام في العالم الدولة الصهيونية. وفي هذا الصدد يشير الكاتب إلى أن عدد الناظرين إلى إسرائيل كعامل سلبي، في العالم، يفوق أولئك الذين يرونها بطريقة إيجابية (٤٩٪ مقابل ٢١٪). ويتابع الكاتب: حتى في الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، حيث جذور الصهيونية المسيحية عميقة تاريخياً في هذين البلدين، يمكن ملاحظة تدهور في التصورات العامة بشأن إسرائيل.

ديمقراطية انتقائية!!

يناقش مؤلف الكتاب طبيعة المجتمع الإسرائيلي،

إذ يصفه بأنه ديمقراطي لكنه، وبما ينسجم مع مبادئه المؤسسة، انتقائي، لذا يعمل كنظام إثنوقراطي. فقانون العودة يسمح لأي يهودي بالهجرة إلى إسرائيل والحصول على المواطنة، بينما المواطنة نفسها هي ما لا يحصل عليه من عاشوا في البلد على مدار أجيال. ويوضح: قد عززت صهيونة الأرض، أي نزاع صفتها العربية، أكثر من مجرد إعلان الدولة «يهودية»، من خلال الحفاظ بأشكال مختلفة على عملية الفصل وتقويتها، وهي تمثل أحد أعمدة الهوية الإسرائيلية الصهيونية.

في الختام، إن ما قدمه، رابكن، في كتابه، يزيل الكثير من الغموض والالتباس والتعقيد المتعلق بمفاهيم ودلالات وأفكار وقضايا ذات صلة بالمشروع الاستعماري عموماً، وبالحركة الصهيونية ووليدتها إسرائيل على وجه الخصوص. إن هذا الكتاب يندرج ضمن مجموعة من الدراسات التي ظهرت خلال العقدين الماضيين، على الأقل، أعدها أكاديميون ومؤرخون يهود ساهموا في نقد ونقض التأويل القومي لعلاقة اليهود بفلسطين، والأيديولوجيا الصهيونية على وجه التحديد. ويأتي كتاب رابكن في إطار سلسلة هؤلاء المؤرخين كـ (إيلان بابيه، وشلومو ساند، وبوعز عفرون، وإسرائيل شاحاك وسواهم).